جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508
volume8, Issue1, March 2022
الإصدار الثامن، العدد الأول، مارس 2022

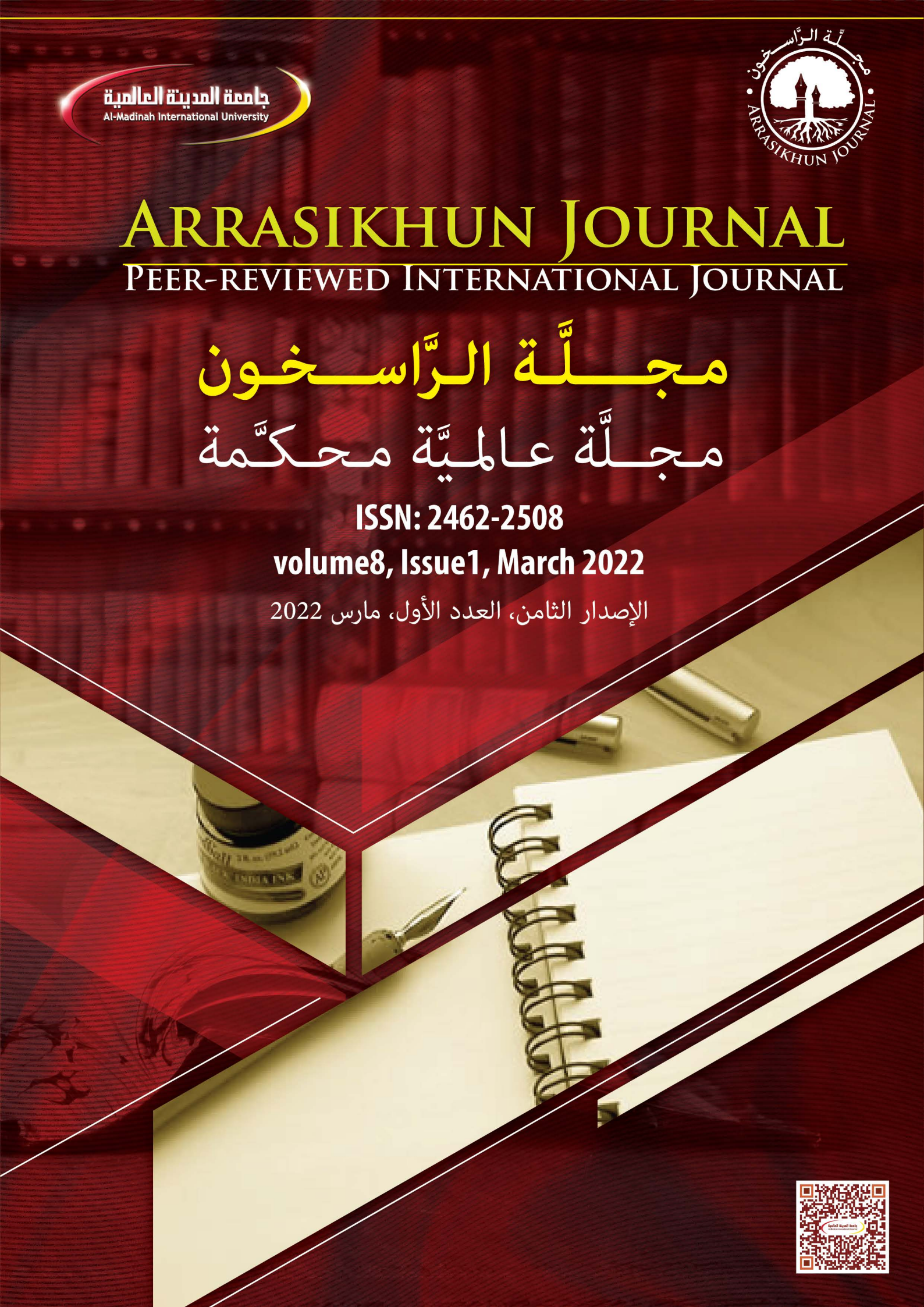

مجلة الراسخـــون

مجلة عالمية محكمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار الثامن، العدد الأول، مارس 2022

أولًا: الدراسات الإسلامية

البحث	صفحة
1. الاقتصار على القراء العشر: مفهومه، ومراحله، وأسبابه، وأثره على القراءات	23-1
2. مفهوم اختلاف التنوع في ضوء الثقافة الإسلامية	34-24
3. درء ظاهرة التعارض بين أحاديث حكم تبييت نية الصيام	51-35
4. حديث النبي ﷺ (أربعة يحتجون يوم القيامة): دراسة دعوية عقدية	79-52
5. تعريف العلة عند الأصوليين الحنابلة	111-80
6. ترك المشروع إذا صار شعارًا للمبتدعة: دراسة تأصيلية استقرائية تطبيقية	139-112
7. العدول عن الخطبة وأثره بين الفقه الإسلامي وقانون الأحوال الشخصية السوداني (دراسة تحليلية)	160-140
8. واجبات الداعية وصفاته من خلال كتاب الترغيب والترهيب للمنذري (من أول كتاب البر والصلة إلى نهاية كتاب الأدب)	181-161
9. أخلاق القيادة النبوية في الحرب	210-182
10. علو الهمة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى دراسة تحليلية	226-211
11. الجهود الدعوية للشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله (تأصيلًا وتطبيقًا)	254-227
12. أثر الفكر السياسي في تحريف العقيدة النصرانية: المجامع المسكونية من عام 325م-451م أنموذجًا ...	276-255
13. موقف الفلاسفة من الانتحار: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية	314-277

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

نائب رئيس المجلة: الأستاذ المشارك الدكتور/ الطيب مبروكي

مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الله يوسف

نائب مدير هيئة التحرير: الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكمو أبحاث العدد (حسب الترتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ أشرف زاهر محمد سويفي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ حساني محمد نور
- الأستاذ الدكتور/ خالد حمدي عبد الكريم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ خالد نبوي سليمان حجاج
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المشارك الدكتور/ صلاح عبد التواب سعداوي سيد
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات بستان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد إبراهيم محمد الحلواني
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد أحمد عبد المطلب عزب
- الأستاذ المساعد الدكتور/ محمد السيد إبراهيم البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد عبد الرحمن إبراهيم سلامة
- الأستاذ المشارك الدكتور/ منصور محمد أحمد يوسف
- الأستاذ المشارك الدكتور/ مهدي عبد العزيز
- الأستاذ المشارك الدكتور/ نادي قبيصي البدوي سرحان
- الأستاذ المشارك الدكتور/ وليد علي محمد السيد الطنطاوي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ ياسر عبد الحميد جاد الله النجار

Arrasikhun Journal، Volume 8، Issue 1، March 2022

ISSN: 2462-2508

أخلاق القيادة النبوية في الحرب

أ.د. سعد بن علي الشهراني

الأستاذ بقسم العقيدة – جامعة أم القرى

samshshrani@uqu.edu.sa

الملخص

الإســـلام دين الأخلاق وتتجلى الأخلاق في وقت الأزمات والحروب وتعتبر الأخلاق القيادية أمرا مهما في قياس نهضة الأمم وعمرانها. ولقد تحلى رسول الله ﷺ بصفات القائد المثالي الأخلاقي الرباني، والتي لم تجتمع في بشر إلا في هذا الرســـول الإنســـان ﷺ، فضـــرب أروع الأمثلة، وأندرها في تاريخ القيادة. وكان النموذج الفريد في العدالة والوســطية والســماحة حتى مع أعدائه، وقد ظهر ذلك جليًا في تعامله مع الناس، وعلاقاته مع غير المســلمين من أصــحاب الديانات الأخرى، ومع المشــركين، ومن أهم الأخلاق النبوية القيادية في حروبه: الشــجاعة والحزم والعزم والرفق والتسامح ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب والشورى وإكرام السفراء والعناية بهم والوفاء.

Summary

Islam is a religion of morals. Ethics is manifested in times of crises and wars. Leadership ethics is considered an important matter in measuring the renaissance of nations and their development. The Messenger of God، may God's prayers and peace be upon him، had the qualities of an ideal، moral، divine leader، which were not found in humans except in this human messenger. And rarest in the history of leadership. He was the unique model in justice، moderation and tolerance even with his enemies، and this was evident in his dealings with people، and his relations with non-Muslims of other religions، and with the polytheists. The right place in the right place، the consultation، honoring the ambassadors and taking care of them and fulfillment.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فإن الإسلام دين الأخلاق، ودلائل هذا مستفيضة مشهورة، ومنها مصدر هذا الدين كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، فكتابه حوى من الآيات الكريمة الدالة على الأخلاق نحو ألف وخمسمائة آية، وذلك نحو ربع القرآن الكريم كله، وأما سنته ﷺ فقد أعلن وأوضح نبي الأخلاق ﷺ بأن غاية بعثته لإتمام مكارم الأخلاق، فقال ﷺ: ‹إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق› [(1)].

وإن العالم اليوم يعيش أزمة أخلاق في مستويات ومجالات عديدة، وإن شعوب العالم التي ألمبتها وأقضّت مضاجعها الحروب وويلاتها، لتبحث عن ملاذٍ آمن تلجأ إليه، وعن سلام دائم تنعم به، وقبل ذلك وأهم: إيمان وأخلاق تنقذها وتخرجها من أزمتها الروحية والأخلاقية، وكل هذا موجود في سيرة منقذ البشرية ﷺ بإذن الله تعالى.

وهذه الأخلاق الموجودة في سيرته ﷺ تضع الحلول لكثير من المشكلات الأخلاقية الغربية، ولو اطلعت تلك الشعوب على هذه المنظومة لدخلت في دين الله أفواجًا، ولكن هناك من يحجب عنها الحقيقة ويشوّه الصورة باسم ‹الإرهاب›، وغيره من الألقاب.

حتمًا إن منظومتنا الأخلاقية فريدةٌ من نوعها، وهي محفوظةٌ خالدة في السيرة النبوية نظريًّا وعمليًّا.

وتتجلى الأخلاق في وقت الأزمات والحروب وتعتبر الأخلاق القيادية أمرا مهما في قياس نهضة الأمم وعمرانها.

والقيادة في اللغة: مصدر قاد الجيش يقود قيادة، إذا رأسه ودبَّره [(2)].

وفي الاصطلاح: ‹الإدارةُ العسكرية التي تُهيمن على الجنود، وتوجِّههم نحو هدف معيَّن بطريقة تضمن بها طاعتهم، وثقتهم، واحترامهم، وولاءهم، وتعاونهم› [(3)].

وقيادة الجيش مهمَّة عظيمة، لما يترتب عليها من عز الأمة أو خضوعها، فإن الجيش كلَّه منوط بقائده حربًا وسلمًا، وكرًّا وفرًّا، لا يقوم له شأن ولا يُحقق هدفًا إلا إذا كان له قائد واحد يتلقَّى منه الأوامر والتوجيه، ويحيطه بالرعاية والعناية، ويحميه من خلفه كما يحميه من أمامه، ويرفع من معنويَّاته، بقدر ما يهبط من معنويات خصمه...

وقد أُفرد بيان الجانب القيادي عند الرسول ﷺ في مؤلفات عديدة، وأطنب بعضها في بيان الجانب العسكري من حياة الرسول ﷺ، وفيما يلي إجمالٌ لأبرز الصفات القيادية التي ركزت على بيانها تلك الدراسات، وهي: القابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح ـ الشجاعة الشخصية ـ الإرادة القوية الثابتة ـ رجاحة العقل وحسن السِّياسة ـ تحمُّل المسؤولية بلا تردُّد ـ معرفة مبادئ الحرب: تحديد الهدف ـ التعرض ـ

(1) الأدب المفرد للبخاي (273)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (45).

(2) ينظر: القاموس المحيط (343/1)، والمعجم الوسيط (771/2).

(3) ينظر: القيادة العسكرية في عهد الرسول ’، د.عبد الله محمد الرشيد(ص: 11).

المباغتة ــ حشد القوَّة الاقتصاديّة بالمجهود ــ الأمن ـ المرونة ــ التعاون ــ رفع المعنويَّات والمحافظة عليها ــ الترتيبات الإدارية ــ نفسيَّة لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ــ بُعد النظر ــ معرفة نفسيَّات مرؤوسيه وقابلياتهم ـ الثقة فيما بينه وبين جنوده ـ المحبة المتبادلة بينه وبين قواته ــ شخصية قوية نافذة ــ قابلية بدنية ـ الماضي الناصع المجيد[1].

هذه أبرز الصفات القيادية التي تحلى بها النبي القائد ﷺ، ولقد حفل التاريخ الإنساني بالعديد من القادة العظام، ولكن لا يوجد أي قائد جمع في نفسه كل هذه الصفات السابقة.

لكن هناك شخص واحد فقط في العالم كلِّه استطاع أن يجمع فيه جميع صفات القيادة النَّاجحة دون أيِّ نقص، وفي أعلى الذرى وهو محمد ﷺ.. ذلك لأنه كان رسول الله، وكان تحت رعاية الله وتأييده وتوفيقه في جميع الإجراءات التي اتخذها طوال حياته[2].

لقد كان ﷺ يتحلى بكافة صفات القائد المثالي، كما تنص عليها أوثق المصادر العسكرية الحديثة، وطبق كل مبادئ الحرب بكل كفاءة، كما تحلى بمزايا أخرى لم تنص عليها المصادر العسكرية؛ لاستبعاد المفكرين العسكريين إمكان توفرها في القادة.

وطبَّق أساليب جديدة مبتكرة، واستخدم أسلحة جديدة في القتال، فأي قائد تحلى بكل هذه المزايا، وطبق كل مبادىء الحرب، وابتكر كل هذه الأساليب؟[3].

وفي هذا البحث عرضٌ لبعض صفات الرسول القائد ﷺ في الحروب؛ لتكون نبراسًا لقادة الأمة يسيرون عليها.

إشكالية البحث:

يحاول البحث تقريب النموذج الأمثل الذي يجب أن يكون عليه قادة الأمة في الحروب عبر أخذ نموذجٍ مميز وهو النبي ﷺ، فهل قادة اليوم على قدر من الأخلاق في الحروب؟ أم هم على نقيض ذلك؟

أسئلة البحث:

يتطرق البحث إلى الإجابة عن:

ماهي أخلاق النبي ﷺ في الحروب؟

كيف تعامل النبي ﷺ مع أعدائه؟

أهداف البحث:

1/ بيان أخلاق النبي ﷺ في الحروب ليكون قدوة لغيره.

2/ بيان تعامله عليه الصلاة والسلام مع أعدائه.

3/ ردُّ التهم الموجَّهة إلى الإسلام عامة وإلى النبي ﷺ خاصة فيما يتعلق بانتشار الإسلام بالسيف والغلظة والشدة في الدين، عبر معرفة الموقف الصحيح لأخلاق النبي ﷺ.

أهمية البحث:

(1) ينظر: تفصيل هذه الصفات في: الرسول القائد محمود شيت خطاب (ص: 300-325)، اقتباس النظام العسكري في عهد الرسول، لمجموعة من الباحثين، ونشر ضمن أعمال مؤتمر السيرة النبوية الثالث بالدوحة، والرسول قائدًا، التنظير والتطبيق، لمحمد فتح الله كولن.

والقيادة العسكرية في عهد الرسول، د.عبد الله محمد الرشيد (ص: 311- 338).

(2) ينظر: النور الخالد محمد فخر الإنسانية د.محمد فتح الله كولن (130/2).

(3) الرسول القائد لمحمود شيت خطاب (ص: 325).

في ظلِّ الحروب الدَّامية التي تعيشها الشعوب والدول اليوم تظهر أهمية دراسة أخلاقيات الحروب، وليس لدينا من هو أكمل من النبيِّ ﷺ لندرس أخلاقياته في الحروب، ونقدمها للناس حتى يقتدوا بها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، فالالتزام بهذه الأخلاق كفيلٌ بتجنيب الناس كثيرًا من ويلات الحروب.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات التي اهتمت بأخلاق النبي ﷺ عامة، مثل كتاب: أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد، وأخلاق النبي ﷺ وآدابه لأبي الشيخ الأصبهاني، وأفدت منها إفادة عامة.

كما أنَّ هناك عددًا من الدراسات المتخصصة في قيادة النبي صلى الله عليه وسلم، مثل: الرسول القائد، لمحمود شيت خطاب، والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج، والمدرسة النبوية العسكرية لمحمد أبو فارس، وأخلاق النبي ﷺ في الحرب لأماني الرمادي، وكلها كتب تناولت بعض الجوانب من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب، وهذا البحث مخصَّصٌ لجزء واحدٍ من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم القيادية وهو أخلاقه في الحروب.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى:

مقدمة

المبحث الأول: الشجاعة.

المبحث الثاني: الحزم والعزم.

المبحث الثالث: الرفق واللين.

المبحث الرابع: التسامح.

المبحث الخامس: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

المبحث السادس: الشورى.

المبحث السابع: إكرام السفراء والعناية بهم.

المبحث الثامن: وفاء النبي ﷺ.

الخاتم.

ونسأل الله تعالى التَّوفيق والسَّداد في القول والعمل.

المبحث الأول: الشجاعة:

كان ﷺ يتحلى بالنصيب الأوفر من الشجاعة بين سائر البشر. يقول القاضي عياض: «كان ﷺ في ذلك بالمكان الذي لا يُجهل، قد حضر المواقف الصعبة، وفر الكُماة [1] والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه ﷺ» [2].

ولا ريب في ذلك فهو قائد الأمة ﷺ، وقد عُرف بهذه الشجاعة منذ صغر سنه، فقد اشترك رسول الله ﷺ مع أعمامه في حرب الفِجار [3]، فكان يرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها، وعمره حينذاك

(1) الكماة: جمع كمي وهو الشجاع الكمي في سلاحة والساتر لنفسه بدرعه، ينظر: مختار الصحاح (ص: 579).

(2) الشفاء للقاضي عياض (1/ 235).

(3) وهي حرب كانت بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وسميت بذلك؛ لأنها انتهكت الشهر الحرام فقاتلت فيه، ففجروا فيها جميعًا، فسمي الفجار. السيرة النبوية مع الروض الأنف (209/1).

عشرون سنة، وقيل: ابن خمس عشرة سنة[1].

وقد تجلت شجاعته في مواقف شتى في سيرته العطرة ﷺ.

فقد شهد بعد الهجرة غزوات، يبلغ **مجموعها سبعًا وعشرين غزوة**[2] أدارها بنفسه، وشارك فيها بسيفه ورمحه، بشجاعةٍ وحنكةٍ فريدتين، لم يدانه فيها أحدٌ من الشُّجعان المعدودين في تأريخ الأمة قديمها وحديثها، فلقد كان يقول أشجعُ الناس بعده ﷺ عليُّ بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ: ‹كنا إذا أحمرَّ البأس، ولقي القومُ القومَ اتَّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه ›[3].

وسيطول بنا المقام إذا سردنا مواقفه البطوليَّة في غزوة بدر، وأحد، والخندق، وغيرها من الغزوات[4]، وسأكتفي بالإشارة إلى موقفٍ واحد تبيّن قدر شجاعته عليه الصَّلاة والسَّلام:

ففي غزوة حنين ضرب ﷺ أروع مثال عرفته الشجاعة البشرية، وذلك حين فرَّ الناس عنه لما باغتتهم هوازن بسهامهم كالجراد المنتشر، فولَّى المسلمون على أعقابهم لا يلوون على أحد وثبت هو في وجه العدو، حيث كان الرسول ﷺ يمتطي بغلةً بيضاء ــ أو شهباء ــ تسمى: دلدل، وهو يركضها، وسفيان بن الحارث آخذٌ بركاب رسول الله ﷺ وعمُّه العباس آخذٌ بلجام البغلة يكفَّانها عن الإسراع نحو العدو[5]، ونزل الرسول ﷺ عن بغلته وهو يدعو[6] الله أن ينصرهم، وقال: ‹أنَّا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب›[7]. وأخذ يقاتل والصحابة يقاتلون معه، ويتَّقون به لشجاعته وثباته كعادتهم في مثل هذه المواقف العصيبة، وقال الرسول ﷺ عندما رأى المعركة تشتد: ‹هذا حين حمي الوطيس›[8]، ثم أخذ حثيات، أو ترابًا فرمى به وجوه الكفار، وهو يقول: ‹شاهت الوجوه›[9]، فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، والرسول ﷺ يقول: ‹انهزموا ورب محمد›، وفي رواية أخرى: ‹انهزموا ورب الكعبة ـ مرتين›[10].

---

(1) المرجع السابق.

(2) فتح الباري لابن حجر (7/ 281).

(3) أخرجه أحمد في المسند (1347)، قال عنه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(4) ينظر في هذه المواقف البطولية: الرسول القائد، محمود شيت خطاب (ص: 436، 437)، والعبقرية العسكرية في غزوات الرسول لمحمد فرج (ص: 601، 696، 698)، والمدرسة العسكرية الإسلامية (ص: 319، 320)، والمدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية لمحمد محفوظ (ص: 218، 282)، والمدرسة النبوية العسكرية لمحمد أبو فارس (ص: 29ـــ 39)، وأخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (1320/3-1344).

(5) أخرجه مسلم (1775).

(6) أخرجه مسلم (1775)، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام (125/4)، والسيرة النبوية لمهدي رزق الله (ص: 588).

(7) أخرجه البخاري (4315)، ومسلم (1776).

(8) أخرجه مسلم (1775)، ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (125/4).

(9) أخرجه مسلم (1777).

(10) أخرجه مسلم (1775، 1777).

قال البراء: ‹كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني: النبي ﷺ، وفي رواية عنه قال: ‹فما رُؤْيَ من الناس يومئذٍ أشد منه› [1].

قال في سبل الهدى والرشاد [2]: ‹وهذا ما يكون في غاية الشجاعة التَّامة؛ لأنَّه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع هذا على بغلةٍ لا تصلح لكرٍّ ولا فرٍّ ولا هرب، ثم هو مع ذلك يركضها إلى وجوههم، وينوّه باسمه ليعرفه من ليس يعرفه ﷺ ›.

ومع هذه الشجاعة البالغة التي كان يتحلَّى بها النَّبي ﷺ إلا أنَّها لم تكن شجاعةَ تهوُّر، يصل أثرها إلى كلِّ أحد وفي كل حال، إنما كانت مضبوطةً بالعقل، ومشوبةً بالرحمة، فلذلك لم يستعملها إلا في مواطن الوغى في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ولم ينتقم لنفسه، ولم يضرب بيده إلا في سبيل الله، كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ‹ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأةً، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله، فينتقم لله عز وجل› [3].

إن شجاعته ﷺ التي استخدمها ﷺ لقتال أعداء الله في مواطن القتال هي مظهر من مظاهر رحمته، فهو يجاهدهم ليدخلوا في دين الله تعالى فيفوزوا بخيري الدنيا والآخرة، وإلا فقد كان بوسعه أن يدعو الله عليهم فيهلكهم، كما دعت الأنبياء قبله على أقوامهم، فاستراحوا منهم، لكن الرحمة المهداة ﷺ أبى ذلك وقال: ‹بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله› [4].

المبحث الثاني: الحزم والعزم:

من أهمِّ الأخلاق القيادية في إمام المسلمين وقائدهم: الحزم والعزم؛ وذلك لكي يستقيم له السَّير بالمسلمين إلى جادة الصواب في أمور دينهم ودنياهم، وحتى لا يقع فريسة للأعداء، أو يخور ويعجز عند النَّوازل والفواجع التي تنزل بالمسلمين، والتي لا تسلم منها دولة في الغالب، ولذلك كان للقرآن العناية بهما من حيث الأمر بهما، والحضِّ عليهما في غير ما آية [5].

إنَّ علاج العدوِّ الغادر الذي يتربَّص بالمسلمين الدوائر هو الحزم والعزم، لا التسويف والليونة والانبطاح أمام هذا العدو الذي لا يرقب في مؤمن ولا مؤمنة إلاَّ ولا ذمة.

ولهذا كان من واقعية الرسول ﷺ وسطيته ومثاليته المعتدلة في الحرب وضع التسامح والرفق، والحزم والعزم، كل في موضعه المناسب.

أما عزمه ﷺ فحياته كلها عزم، ولكن أكتفي بذكر ثلاثة أمثلة عن عزمه بإجمال في حروبه ﷺ:

أحدها: عزيمته يوم بدر في مواجهته الكفار وقتالهم،

(1) أخرجه البخاري (2877)، ومسلم (1776) واللفظ لمسلم.

(2) سبل الهدى والرشاد للشامي (78/7).

(3) أخرجه البخاري (3560)، ومسلم (2327).

(4) أخرجه البخاري (3059)، ومسلم (1795)، وينظر: أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (1343/3ـ 1344).

(5) المرجع السابق (1239/3).

رغم قلة العدد والعُدة، وما عليه أعداؤه من نقيض ذلك[1].

ثانيها: عزيمته يوم أحد حين علم بأن المشركين قادمون للمدينة لأخذ ثأرهم من المسلمين عن يوم بدر، وأقبلوا بجمع عظيم عدده ثلاثة آلاف مقاتل. فاستشار أصحابه في الخروج إليهم، أو البقاء للقتال في المدينة، وانعقد عزمه على الخروج إليهم، فدخل بيته ولبس لأمته[2].

ثالثها: عزيمته يوم حنين حين واجه جموع هوازن وثقيف في موقف بطولي فريد، وقد تفرق عنه عامة أصحابه إلا نفرًا قليلًا[3].

أما حزمه ﷺ فقد تكرر في مواطن شتى، أشير إلى خمسة أمثلة عليها:

1- حزمه مع يهود بني قينقاع حين نقضوا العهد، فآذوا امرأة مسلمة، وقتلوا مسلمًا ثأر لهذه المرأة التي كشف اليهودي عن سوأتها، فسار إليهم الرسول الحكيم ﷺ، وحاصرهم حتى أجلاهم شريطة ترك أموالهم وأسلحتهم للمسلمين[4].

2- وكذلك حينما نقض يهود بني النضير العهد مع الرسول ﷺ، فتآمروا على قتله غدرًا، فأمرهم النبي ﷺ بالخروج من المدينة، ولكنهم امتنعوا، ثم حاصرهم النبي ﷺ حصارًا شديدًا، وقطع بعض نخيلهم وحرقه[5]؛ إدخالًا للرعب في قلوبهم حتى استسلموا، وخرجوا أذلة صاغرين[6].

3- وكان حازمًا مع يهود بني قريظة، حينما نقضوا العهد، وتمالؤوا مع الأحزاب للغدر بالمسلمين والقضاء عليهم، وبعد انتهاء غزوة الأحزاب أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتوجه نحو بني قريظة وقتالهم، قائلًا: «من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلِّيَنَّ العصر إلا في بني قريظة»[7]، فقاد ﷺ المسلمين وحاصرهم، وحاولوا أن يعرضوا على الرسول عروضًا ينسحبون من المدينة كما انسحب بنو قينقاع وبنو النضير فأبى، وقرر اقتحام حصونهم، فلما رأوا أن الأمر جد وليس بالهزل قبلوا بحكم سعد بن معاذ الذي حكم بأن يقتل المقاتلون، وتسبى الذراري، وأن تقسم الأموال[8].

لقد وافق رسول الله ﷺ على حكم سعد، وقال له: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة»[9].

وأمر بحفر خنادق في سوق المدينة فضرب أعناقهم، وهال عليهم التراب، وقد بلغوا كما قال ابن عباس

(1) سيرة ابن هشام (2/ 189).

(2) ينظر: مسند الإمام أحمد (14787)، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (1100).

(3) ينظر: صحيح البخاري (2930)، وصحيح مسلم (1776)، وعيون الأثر لابن سيد الناس (2/ 241).

(4) ينظر: سيرة ابن هشام (2/ 48)، وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (4/ 180).

(5) صحيح البخاري (2326).

(6) ينظر: عيون الأثر (2/ 71).

(7) أخرجه البخاري بلفظ قريب (946)، ومسلم

(8) صحيح مسلم (1769).

(9) أخرجه البخاري (3043)، ومسلم (1769)، وينظر: السيرة النبوية لابن كثير (3/ 208).

رضي الله عنهما: سبعمائة وخمسين مقاتلاً [1].

ويلاحظ المتأمل أنَّ رسول الله ﷺ لم يُشقِّع حلفاء يهود بني قريظة ــ وهم الأوس ــ فيهم كما شفع رأس المنافقين في بني قينقاع، والحق أن هناك فرقًا شاسعًا بين الجريمة التي ارتكبها بنو قريظة والجريمة التي ارتكبها بنو قينقاع، فبنو قينقاع تآمروا على رجل من الصحابة فقتلوه حينما أسعف المرأة المسلمة التي أُسيء إليها، أما بنو قريظة فقد تآمروا على كيان الأمة ودولتها وشعبها، يريدون تقويض أركان الدولة، وقتل الأمة ووأدها وهي حية، فلا تقوم لها قائمة، فهل الجريمتان تتساويان؟

إنَّ جريمة بني قريظة أفدح بكثير من جريمة بني قينقاع، إنَّها تهدد وجود الأمة بسحقها وتدميرها، وتدمير إمكاناتها، وقتل رجالها ونسائها وأطفالها، إنها جريمة بشعة صمموا على اقترافها، وأعدوا لها، وشرعوا في تنفيذها، ولكن الله تبارك وتعالى حال بينهم وبين ما اشتهوا وخططوا وشرعوا، وعلى هذا فيجب أن يتناسب الجزاء مع الجريمة ولا يصلح العفو مع الجريمة والخيانة والغدر، ولا يمنع الغادر عن الغدر بالعفو عنه بل يزيده غدرًا وعتوًا [2].

4- وكذلك أخذ رسول الله ﷺ بسياسة الحزم والحسم مع يهود خيبر الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ، والمتآمرين مع كفار قريش والمنافقين في المدينة؛ لاستئصال النبي ﷺ وصحابته الكرام[3]، ولهذا قرر أن يغزوهم في عقر دارهم، وأن يدمر حصنهم، فقاد جيشًا بنفسه نحو خيبر، وفاجأهم بهذا الجيش القوي وقت الصباح وهم في مزارعهم خارج حصونهم، فلما رأوه ارتعبوا وخافوا خوفًا شديدًا، وقالوا: محمد والله، محمد والخميس. فكبر رسول الله ﷺ وكبر الصحابة معه وقال: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[4] ففتح حصونهم وقتل أبطالهم[5].

5- ولم يكن ﷺ حازمًا مع اليهود فحسب، بل كان حازمًا مع المشركين من العرب، وهذا ما نجده واضحًا ــ على سبيل المثال ــ في موقف الرسول ﷺ من قريش لما نقضت العهد مع الرسول ﷺ، فاعتدت مع بني بكر على قبيلة خزاعة التي دخلت في حلف الرسول ﷺ وعقده، فقتلوهم في الحرم، وقتلوهم ركعًا وسجدًا، كما قال شاعرهم عمرو بن سالم.

وحاول أبو سفيان أن يجدِّد العقد والعهد، فكلم رسول الله ﷺ، وكلم كثيرًا من الصحابة رضوان الله عليهم، فلم يجبه أحد إلى طلبه، وعاد بخفي حنين، وكان قرار الرسول ﷺ وجوابه الحازم لشاعر خزاعة: «نصرت يا عمرو بن سالم»[6]. فسير جيشًا قوامه عشرة آلاف مقاتل، وقاده بنفسه، وعاقب المعتدين بحزم وحسم.

وكما كان حازمًا ﷺ على مستوى القبائل

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (145/2).

(2) ينظر: المدرسة العسكرية د.محمد أبو فارس (ص: 164، 165).

(3) ينظر: الرحيق المختوم (ص: 333).

(4) أخرجه البخاري (610)، ومسلم (1365).

(5) ينظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (1/ 300).

(6) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (5/ 5).

والجماعات الباغية، فكذلك كان حازمًا على مستوى الأفراد الذين يكيدون ويؤذون المسلمين، كما فعل مع كعب بن الأشرف وغيره [1].

إن الحزم مع العدو، والحسم في علاج الأعداء ميزةٌ من مميزات القائد الناجح، حتى يحافظ على هيبة الأمة والقيادة والدولة، وحتى يقطع الطريق على كل من تسول له نفسه الإساءة للأمة وكيانها السياسي، وأعراضها ودمائها، هذا ما أثبتته التجارب قديمًا وحديثًا، وإن ما يجري اليوم في العالم الإسلامي مع الأعداء من التهاون والضعف واللين مع المعتدين الظالمين من أعداء الإسلام، يتناقض مع المنهج السليم، والمنهج الحاسم والحازم، الذي يقضي على المشاكل قبل أن تتفاقم، ويزداد خطرها [2].

وما حزم النبي ﷺ إلا تطبيقًا لهذا المنهج الوسطي الواقعي مع أعداء الدين، فهو حزمٌ بلا ظلم، وعدلٌ بلا ضعف.

وقد استطاع النبي ﷺ بمنهجه القويم إقامة دولة الإسلام العادلة الفاضلة.

المبحث الثالث: الرفق واللين:

شهد الله تعالى لنبيه ﷺ باللين والرفق فقال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ } [آل عمران:159].

إن الرفق خلق راسخ في سيرته ﷺ، حتى في جهاده كان الرفق ملازمًا له، سواء مع أصحابه، أو أعدائه، وسأذكر بعض الأمثلة على ذلك:

1- كان المصطفى ﷺ يتمنى ألا يتخلف عن أي سريةٍ، أو بعثٍ يبعثه للجهاد في سبيل الله تعالى، وإعزاز دينه، ولكنه كان رفيقًا بصحابته وأمته، وها هو يعتذر عن ذلك، فيقول: ‹والذي نفسي بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ويشق أن يقعدوا بعدي، والذي نفسي بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل› [3]. هكذا كان رفقه بأمته لأنه يعلم أن أحوالهم وقدراتهم متفاوتة فلا يريد المشقة عليهم حتى في أبواب الخير، والجهاد في سبيل الله.

2- إنه ﷺ لم يستعجل عذاب قومه الذين آذوه، وحاولوا صدَّه عن إبلاغ رسالته بكل ما أوتوا من قوة حسيَّة أو معنويَّة؛ بل كان رفيقًا رحيمًا بهم، وفي هذا الحديث ما يصور شدة العذاب الذي لا قاه النبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي ﷺ: ‹هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (2/52، 54).

(2) ينظر: المدرسة النبوية العسكرية، د. محمد أبو فارس (ص: 169)،وقد أفدت منه في ذكر أمثلة الحزم.

(3) أخرجه البخاري (36)، ومسلم (1876).

وأنا بقرن الثعالب[1]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلَّم علي وقال: يا محمد، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين[2]، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئًا»[3].

فأي رفق هذا الذي كان يتحلى به منقذ البشرية، ورسول الرحمة ﷺ، إذ اللسان ليعجز أن يصف هذه القمة في الرفق، وإن البيان ليقف حائرًا منكسرًا أمام هذه الروعة الأخلاقية من روائع نبينا وحبيبنا ﷺ.

3- ولما قال له أصحابه الكرام رضي الله عنهم: يا رسول الله! ادع على المشركين فقال ﷺ: «إني لم أبعث لعَّانا إنما بعثت رحمة»[4]. وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم الطفيل ابن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوسًا عصت وأبت، فادع الله عليها. فقيل: هلكت دوس. قال: «اللهم اهد دوسًا، وائتِ بهم»[5]. نعم إن هدفه ﷺ هداية الخلق إلى الحق، وليس قتلهم، كما يقوله المستشرقون وأذنابهم. فقد ألحقوا به من الأذى ما هو معلومٌ في سيرته، ومع ذلك لما رأف به ربُّه جل وعلا، وأرسل إليه ملكًا كريمًا يستأذنه في استئصالهم، فقال ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله»[6].

4- لما هاجر إلى المدينة، ونشأ في دار مهاجره النفاق والمنافقون، الذين كانوا أخطر على دعوته ودولته من أعدائه المشركين في الخارج، ومن اليهود في الداخل والخارج، وكان كثيرًا ما يكتشف نفاقهم الواحد تلو الآخر، والجماعة تلو الأخرى، فيستأذنه أصحابه البَرَرَة رضي الله عنهم في قطع دابرهم، واستئصال شأفتهم، فيقول ﷺ: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»[7]. بل ربما أوصله رفقه بهم إلى أن يعزم على أن يصلي على من مات منهم، أو يستغفر له ويكفنه بثوبه، كما حدث له ﷺ مع رئيس المنافقين عبد الله بن أُبيّ[8]، وكل ذلك ليتألف قلوب الناس، ويكسبهم محبته ﷺ رفقًا بهم رجاء أن يذرُوا النِّفاق الذي هم عليه، ويمحضوا النصح لله ورسوله والمؤمنين، فينالوا بذلك خيره ﷺ في الدنيا والآخرة، وذلك لما جُبل عليه ﷺ من الرأفة والرحمة، والرفق واللين.

5- وقد كان ﷺ يسلك هذا المسلك من الرفق واللين مع عُتاة الجاهلين، والزعماء الوثنين، وغيرهم من المؤلفة قلوبهم، أو من يطمع في إسلامهم، كما جاء أنه استأذن عليه رجل منهم فقال: «ائذنوا له

(1) قرن الثعالب: هو ميقات أهل نجد، ويقال له قرن المنازل أيضًا، ويبعد عن مكة ثمانين كيلًا. انظر المعالم الأثيرة، محمد شراب (ص: 266).

(2) الأخشبان: جبلان عظيمان بمكة.

(3) أخرجه البخاري (3231)، ومسلم (1795).

(4) أخرجه مسلم (2599).

(5) أخرجه البخاري(2779)، ومسلم(2524).

(6) أخرجه البخاري (3231)، ومسلم (1795).

(7) أخرجه البخاري (3330)، ومسلم (2584).

(8) أخرجه البخاري (4670)، ومسلم (2400).

فبئس ابنُ العشيرة، أو قال: بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول؟ فقال: «أي عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه ـ أو قال: ودعه ـ الناس اتقاء فحشه» (1).

وكما كان ﷺ يطبق ذلك بفعله فقد كان يعبر عنه بمقاله ليحثَّ ولاة أمور أمته على الرفق برعاياهم واللين لهم، ويرغبهم في ذلك ويحذرهم من ترك ذلك، ومن الجور على الرعايا والمشقة عليهم كما يتبين لك من الدلائل الآتية:

فقد كان ﷺ يبعث ولاته ويقول لهم: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» (2).

وكان ﷺ يبتهل إلى الله عز وجل ويقول: «اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به» (3).

وفي هذا من الترغيب والترهيب في الرفق بالرعية ما يحمل على ذلك بلا تردد إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، طمعًا في نيل رفق الله تعالى، وفرارًا من وقوع مشقته عليه كما دعا بذلك نبيه المستجاب دعاؤه ﷺ.

وكان يمتدح الرفق فيقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (4).

وبهذا تعلم أن الرفق واللين كانا خلقًا ثابتًا عند النبي ﷺ كسائر أخلاقه العظيمة، وأنه كان يعالج به أمته، وسائر خلق الله تعالى حتى ملك نواصيهم، واجتمعت قلوب الخلائق على محبته وتعظيمه، وتقديمه في المحبة على النفس والمال والأهل والولد، ودانت له بهذه السياسة الحانية قلوبُهم وعقولهم، إلا من غلبت عليه شقوته، وكان من الخاسرين، وصدق الله إذ يقول: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ } [سورة آل عمران:159] (5).

المبحث الرابع: التسامح:

المسامحة في اللغة: السلاسة والسهولة والجود عن كرم وشجاعة (6).

وفي الاصطلاح: التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها التي تتجلى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواءً مع بعضهم، أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى (7).

فالتسامح في الإسلام يعني التساكن والتعايش في إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر في الرأي والعقيدة والفكر، من غير إخلالٍ بمقومات التَّساكن،

(1) أخرجه البخاري (5707)، ومسلم (2591).
(2) أخرجه البخاري (2873)، ومسلم (1734).
(3) أخرجه مسلم (1828).
(4) أخرجه مسلم (2593).
(5) ينظر: أخلاق النبي ' في القرآن والسنة (1230/3).
(6) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة (سمح) (355/6)، التعريفات للجرجاني (ص: 127)، النهاية (398/2).
(7) نضرة النعيم (2228/6)، وانظر تعريفات أخرى في الموسوعة الفلسفية العربية (235/1).

أو تجاهل لقيم الإسلام الثابتة [1].

والتسامح دعامة من دعائم شريعة الإسلام، ومبدأ أصيل من مبادئ خُلق المسلمين، هذه حقيقة ثابتة، نصت عليها الآيات والتوجيهات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأكدتها سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين، وسجلها تاريخ المسلمين في الشرق والغرب.

لم يكن التسامح لدى الرسول القائد ﷺ مبادئ نظرية مجردة، أو قيمة مثالية خيالية، وإنما كان سلوكًا يوميًا، وعقلًا واقعيًا حيًّا، يظلل بظلاله الطيبة أصحاب العقائد المخالفة التي يعيش أصحابها في ظل حضارة الإسلام [2].

إن رسول الله ﷺ في تسامحه يطبق منهجًا ربانيًا هو من سمات ومعالم هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[الحج:78]

وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة:185]

وقوله ﷺ: ﴿إني بعثت بحنيفية سمحة﴾ [3].

وعبر عن هذا المنهج بقوله ﷺ: ﴿إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا﴾ [4].

ويتعامى عن هذا التسامح الواضح والذي شرعه محمد ﷺ المستشرقون وأضرابهم من أعداء الدين، زاعمين أن الرسول ﷺ لم ينشر دينه إلا بحد السيف والإكراه، وأن التسامح لا مكان له في دينه! ومن أشهر التصريحات الحاقدة مؤخرًا ما أعلنه بابا الفاتيكان بندكت السادس عشر حول انتشار الإسلام بالسَّيف، وأن الإسلام يستخدم العنف والتهديد في إقناع الآخرين [5].

---

(1) ينظر: مفهور التسامح في إطار الرؤية الإسلامية، د. محمد قارون النبهان (ص85)، ضمن كتاب مفهوم التسامح في البناء الحضاري. وللتوسع ينظر: تسامح الغرب مع المسلمين (ص23- 33).

(2) ينظر: الإسلام بين سماحته وتعصب أعدائه، د. أحمد أبو زيد (ص: 335)، ضمن كتاب مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإنساني.

(3) أخرجه أحمد (24855)، وقال عنه الألباني: "وهذا إسناد حسن" سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (6/ 1024).

(4) أخرجه البخاري (39).

(5) تناقلت وسائل الإعلام العالمية تصريحه، وحين شعر بالغضب الإسلامي حاول تبرير كلامه ولم يعتذر، ينظر =

أما المستشرقون فهذا ديدنهم. ومن ذلك على سبيل المثال: ما كتبه المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية من تشويه للجهاد، ومن ذلك قول المستشرق الإنجليزي «ماكدونالد»: «نشر الإسلام بالسيف فرض كفاية على المسلمين كافة»[1]، وهذا غيض من فيض افتراءاتهم!!

وللإجابة على هؤلاء الحاقدين أقول:

أولًا: ضبط الرسول ﷺ أحكام الحرب بقيود إنسانية وأخلاقية، ليس لها مثيل في تاريخ البشرية، وما في هذا البحث تأكيد سيرة المصطفى ﷺ لهذا الجانب الأخلاقي في الحرب عند المسلمين.

ثانيًا: طبّق الرسول ﷺ مبدأ التعايش السلمي مع غير المسلمين، وعاشوا في دولته آمنين مستقرين، يمارسون عبادتهم بكل حرية، ويحظون بحماية تمكنهم من الاطمئنان على أموالهم ودمائهم، ولا يجوز لمسلم أن يعتدي على كتابي ما دام ملتزمًا بالعهد، وتعد «وثيقة المدينة» أروع شاهد على التعايش السلمي بين مختلفي الديانات.

ومن أقوال الرسول ﷺ في حفظ حقوق أهل العهد والذمة قوله: «من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا»[2].

ومن سماحة الإسلام في تحصيل الجزية: أنها تسقط عمن أسلم، ولا يطالب بما عليه قبل إسلامه، ولا تؤخذ من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل ولا شيء له، وكذلك المغلوب على عقله لا يؤخذ منه شيء، ولا الرهبان والفلاحون الذين لا يقاتلون[3].

ثالثًا: ضرب لنا النبي ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة في سماحة المعاملة والدعوة إلى الإسلام مع أهل الكتاب، فقد كان يزورهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم.

فمن ذلك ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: أطع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار»[4].

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: «غزونا مع النبي ﷺ تبوك، وأهدى ملك أَيْلَة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بُرْدًا وكتب له ببحرهم»[5][6].

كما قام النبي ﷺ بإكرام نصارى الحبشة، وقام

على سبيل المثال: صحيفة البيان، تحت عنوان: بابا الفاتيكان يسيء إلى الإسلام.

(1) دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين (188/8)، وانظر ما صدر مؤخرًا عن المستشرق برنارد لويس: أين يكمن الخطأ (ص: 90) وما بعدها. وقد كتبت أبحاث جيدة للرد عليهم منها: دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، د. جميل المصري، انتشار الإسلام وموقف المستشرقين منه، محمد فتح الله الزبادي، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، شوقي أبو خليل، وغيرها كثير.

(2) أخرجه البخاري (6914).

(3) ينظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم (50/1- 51).

(4) أخرجه البخاري (1356).

(5) أي: ببلدهم وأرضهم. ينظر: النهاية (100/1).

(6) أخرجه البخاري (3161)، ومسلم (1392).

بضيافتهم بنفسه[1].

وكان النبي ﷺ يشتري من أهل الكتاب ويقترض منهم، وتوفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير[2]. وذلك في نفقة عياله، وكان في وسعه أن يستقرض من أصحابه، وما كانوا ليضنوا عليه بشيء، ولكن أراد أن يعلم أمته كيف يكون التسامح في المعاملة.

وقد قام النبي ﷺ بتعليم أصحابه سماحة المعاملة مع الآخرين حتى في حالة خطئهم، وجهلهم عليهم؛ فهذا زيد بن سعنة اليهودي جاء إلى رسول الله ﷺ، يطلبه دينًا له عليه، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ، وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطُل، وشدَّد له القول، فنظر إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: (أنا وهو يا عمر كنَّا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعًا من تمر، فكان هذا سببًا لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله[3].

وسار على هدي نبينا محمد ﷺ الصحابة الكرام في تسامحهم مع غير المسلمين، متبعين وصية رسول الله ﷺ بالأقباط خيرًا، حيث يقول: (إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيه القيراط[4]، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا)[5].

هكذا كانت سماحته ﷺ مع أعدائه في حال العهد والأمان، أما في حال الحرب فقد ضرب أروع الأمثلة التي لا تصدق بميزان أهل الحرب في زماننا، وهي كثيرة في سيرته العطرة السمحة، وسأكتفي بذكر بعضها:

1- قصة ثمامة بن أثال رضي الله عنه، وهو من سادات بني حنيفة اليمامة، حيث خرجت سرية للمسلمين قِبَل نجد، فأسروه، وربط في سارية من سواري المسجد، ثم منَّ عليه رسول الله ﷺ بإطلاقه، فأسلم، وخرج معتمرًا إلى مكة، فعيرته قريش بأنه صبأ، فأقسم أن لا يصل إلى مكة من حِنْطة اليمامة وميرتها شيءٌ إلا أن يأذن في ذلك رسول الله ﷺ، وفعل ذلك، فاشتدَّ ذلك على قريش، فأرسلوا يسألون رسول الله ﷺ الرَّحم، ويقولون له: لقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع. فكتب رسول الله

---

(1) ينظر: معجم الشيوخ (97/1)، ومكارم الأخلاق (111/1).

(2) أخرجه البخاري (2916).

(3) دلائل النبوة لأبي نعيم (ص: 23 ـــ 24)، والبداية والنهاية لابن كثير (310/2)، وينظر: توجيهات ومواقف أخلاقية، د. عبد العزيز الحميدي (ص: 11-14).

(4) القيراط: جزء من أجزاء الدينار، النهاية (42/4).

(5) أخرجه مسلم (2543).

ﷺ إلى ثمامة يأمره بأن يُخلّي أحمال الحنطة والميرة لأهل مكة[1].

فانظر إلى تسامحه ﷺ مع هؤلاء الذي أخرجوه وصحابته الكرام من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

2- لقد أصيب يوم أحد إصابات كبيرة من أعدائه، حيث شجوا وجهه الشريف، وكسروا رباعيته في ذلك اليوم بنفسي هو وأبي وأمي ﷺ[2]، ومع ذلك راوده أصحابه أن يدعو الله تعالى عليهم، فقال: «إني لم أبعث لعانًا، ولكني بعثت داعيًا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[3].

3- ولما ظفر عليه الصلاة والسلام بالثمانين رجلًا في غزوة الحديبية من أهل مكة الذين هبطوا من جبل التنعيم متسلحين يريدون غِرّة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم النبي ﷺ واستحياهم مع ما كان يقتضيه حالهم من القتل جزاء وفاقًا، غير أن النبي ﷺ سامحهم، ولم يعاقبهم على ذلك[4].

4- في صلح الحديبية تسامح الرسول ﷺ مع كفار قريش إلى أبعد مدى حقنًا لدمائهم، وفي كتابة الشروط حين طلبوا منه أن يمحو عن نفسه وصف «رسول الله» حين كتب علي بن أبي طالب: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله». فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولتابعناك، ولكن اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فقال: أنا والله محمد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله. قال: وكان لا يكتب. قال: فقال لعلي: امح رسول الله. فقال علي: والله لا أمحه أبدًا. قال: فأَرِنيه. قال: فأراه إياه، فمحاه النبي ﷺ بيده. فلما دخل ومضت الأيام أتوا عليًّا فقالوا: مر صاحبك فليرتحل. فذكر ذلك علي رضي الله عنه لرسول الله ﷺ فقال: نعم. فارتحل[5].

5- ولما تمكن من الفتح العظيم، وقبض على ناصية الجبابرة الطغام، وهم لا يدرون ما يخبئ لهم غير أنهم يطمعون في تسامحه وحلمه وكرمه كما عهدوه فيه. يوم ذاك قال لهم رسول الله ﷺ: «يا أهل مكة! ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ، وابن أخ كريم، عندئذٍ قال مقولته المشهورة الجارية مجرى الأمثال شهرة واستفاضة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»[6].

وفي رواية أنه ﷺ قال لهم: «مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: { قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [سورة

(1) أخرجه أحمد (7361)، والبيهقي في الدلائل (79/4- 81).

(2) صحيح البخاري (2911)، ومسلم (1790).

(3) أخرجه البيهقي في الدلائل (214/3)، وأصله في مسلم (2599).

(4) الحديث في صحيح مسلم (1808)، والقصة معروفة في كتب السيرة.

(5) أخرجه البخاري (3184)، ومسلم (1783).

(6) السيرة النبوية لابن هشام (94/4)، وذكره عامة أهل السير، وفي إسناده ضعف، ينظر: هامش فقه السيرة للغزالي (ص: 395)، وينظر: القصة مع التعليق عليها (ص: 223).

يوسف:92]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان قد توعد صناديد مكة: فانفضحت حياء من رسول الله ﷺ [1].

إنك لا تجد قائدًا في العالم مهما بلغ من جلال الإنسانية، ورفعة العلم، وذروة الخلق، يخاطب أعداءه الذين استباحو قتله، وبعدما استباحوا من دماء المسلمين، يخاطبهم حين ظنوا أنهم ألقي عليهم قيود السلطة والجبروت، وأنهم أصبحوا أسرى في يديه، يفعل بهم من جنس صنيعهم أو أشد، يخاطبهم منكرًا أنهم أسرى أو مقيّدون فيقول: اذهبوا... [2].

ولكنها القيادة النبوية المسددة بنور الله تعالى وتأييده.

6- تسامحه ﷺ مع صفوان بن أمية عندما فرَّ هاربًا يريد أن يرمي بنفسه في البحر، لحق به ابن عمه عمير بن وهب بعد أن أخذ له أمانًا من الرسول ﷺ، يتمثل هذا الأمان في عمامته ﷺ، كعلامة تلقي في قلبه الطمأنينة والأمان، فلما أراه العمامة رجع إلى رسول الله ﷺ وقال له: إن هذا يزعم أنك أمنتني. قال: صدق. قال: أمهلني بالخيار شهرين. قال: أربعة أشهر. لم يمض سوى زمن يسير حتى عاد وأسلم وحسن إسلامه [3].

7- كما تسامح ﷺ مع هوازن رغم محاربتهم له ﷺ بعنف، وودخولهم معه في معركة هائلة، ولما عاد النبي ﷺ إلى الجعرانة، جاءه وفد هوازن مسلمين يسألونه أن يرد عليهم ذراريهم وأموالهم، واستعطفوه في هذا الشأن، فخيرهم النبي ﷺ بين الأموال والأحساب، فاختاروا الأحساب على الأموال.

فعن عروة بن الزبير: أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «معي من ترون، **وأحب الحديث إليَّ أصدقه**، فاختاروا إحدى الطائفتين؛ إما السَّبي، وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم». وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين، قالوا: فإنا نختار سبْيَنا، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإنَّ إخوانكم قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبْيَهم، فمن أحبَّ منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظِّه حتى نعطيه إيَّاه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل. فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله: إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممَّن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم. فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم

(1) أخرجه أبو الشيخ في الأخلاق (82).

(2) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب لأحمد آل بوطامي (ص: 974)، من مقال نقله للكتاب الفرنسي (جان يرا)، نقلاً عن أخلاق النبي '، د.الحداد (598/2).

(3) ينظر: سيرة ابن هشام (60/4)، زاد المعاد (413/3).

قد طيبوا وأذنوا[1].

هكذا يؤثر تسامح القائد العظيم في جنوده، فينعكس ذلك سلوكًا وخلقًا لهم، وتأمل تطييب رسول الله ﷺ لنفوس أصحابه حتى طابت وتسامحت عن حبٍّ ويقين.

8- وفي غزوة حنين كان الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة هم أول من أدبر وهرب من المعركة، فكانوا سببًا كبيرًا في هزيمة المسلمين ابتداءً، ولهذا طلبت أم سليم بنت ملحان من رسول الله ﷺ أن يقتلهم بحجة أنهم انهزموا عنه، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن»[2].

9- وفي غزوة الطائف حين حاصرها الرسول الله ﷺ وصحابته، واستعصى الحصن على المسلمين، واستشهد اثنا عشر رجلًا، بينما لم يقتل من المشركين سوى ثلاثة[3]، دعا رسول الله ﷺ إلى فكِّ الحصار، فَثَقُل ذلك على المسلمين واستنكروه، وعندما كثرت فيهم الجراحات ودعاهم الرسول ﷺ إلى فك الحصار مرة أخرى أعجبهم ذلك، فتبسم رسول الله ﷺ، فارتحلوا[4]، والرسول ﷺ يطمع في هدايتهم ويرفض طلب بعض المسلمين في الدعاء عليهم، ويدعو لهم قائلًا: اللهم اهد ثقيفًا[5].

لقد كان لسماحة الرسول القائد ﷺ وجنوده الفاتحين أكبر الأثر في انتشار الإسلام بسرعة هائلة. يقول الشيخ محمد الصادق عرجون: «تطبيق سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره، وفي هذه السياسة الحكيمة الرحيمة أوضح إجابة عن تساؤل المتسائلين عن أسباب السرعة الهائلة التي طوى فيها الإسلام أكثر المعمور من الأرض تحت ظله الظليل. إن مبادئ الإسلام السمحة الراشدة تنقض الفكرة المتعنتة الجاحدة التي يرددها أعداء الإنسانية بتصوير فتوحاته غزوًا ماديًا لنهب ثروات الأمم، واغتصاب خيراتها، وحرمانها من نعم الله عليها فيما أنعم به من مصادر الثروة الاقتصادية.

وتصوير هذه الفتوحات بأنها إكراه للناس بقوة السلاح على الدخول في دين الإسلام؛ لأن النظرة العابرة بَلْهَ الناقدة الفاحصة في فتوحات الإسلام ترد ذلك وتدفع في صدر زاعميه؛ لأن هذه الفتوحات كما دونها التاريخ الصادق بأقلام جهابذته من أبناء الإسلام، أو غيرهم من طلاب الحقائق الذي ينشدونها في مقارّها من واقع الأحداث مهما كلفهم ذلك من تعب ومشقة أصدق شاهد على عدالة الإسلام وسماحته»[6].

وما سقته من أمثلة على تسامح الرسول أبلغ شاهد، وقد اعترف المنصفون من الغربيين بهذا التسامح العظيم للرسول الكريم ﷺ، فمن ذلك قول غوستاف

(1) أخرجه البخاري (4318).

(2) أخرجه مسلم (1089).

(3) سيرة ابن هشام (4/180- 182).

(4) أخرجه البخاري (4325)، ومسلم (1778).

(5) أخرجه الترمذي (3937)، وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في تعليقه على فقه السيرة (ص: 432).

(6) الموسوعة في سماحة الإسلام، محمد صادق عرجون (425/1).

لوبون: «إن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمةً إلى الغاية، وإنه لم يقل بمثلها مؤسسو الأديان التي ظهرت قبله، كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص، وسار خلفاؤه على سُنته، وقد اعترف بذلك التسامح بعض علماء أوروبا المرتابون أو المؤمنون القليلون الذي أنعموا النظر في تاريخ العرب»[1].

وقالت الإيطالية لورا فتشا فاليري: «مُنِحَتْ تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة وتقاليدها القديمة، شَرْطَ أن يدفع الذين لا يرضون الإسلام دينًا ضريبة عادلة إلى الحكومة، تُعرف بالجزية، لقد كانت هذه الضريبة أخف من الضرائب التي كان المسلمون ملزمين بدفعها إلى حكوماتهم نفسها، ومقابل ذلك منح أولئك الرعايا المعروفون بـ(أهل الذمة) حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الإسلامية نفسها، ولما كانت أعمال الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين قد أصبحت فيما بعد قانونًا يتبعه المسلمون، فليس من الغلوّ أن نُصِرَّ على أن الإسلام لم يكتف بالدعوة إلى التسامح الديني، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءً من شريعته الدينية»[2].

ونقل غوستاف لوبون عن روبرتسن قوله: «إن المسلمين وحدهم الذي جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشرًا لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارًا في التمسك بتعاليمهم الدينية»[3].

وقال المستشرق سير توماس آرنولد: «لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها «فرديناند وإيرابلا » دين الإسلام من إسبانيا، أو التي جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتي مذهبًا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة. وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالًا تامًا عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف إلى جانبهم، باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم»[4].

لقد أطلت في ذكر الأمثلة من سيرته ﷺ، وفي سرد بعض شهادات المنصفين الغربيين ردًا على شبهة هؤلاء الطاعنين من المستشرقين وأذنابهم في اتهامهم رسول الإسلام ﷺ بعدم التسامح... وما عرضت إلا طرفًا يسيرًا من تسامحه، وإنه ليس بدعًا أن يكون بهذا التفرد رسول التسامح بإطلاق، فهو الرسول

(1) حضارة العرب (128)، نقلاً عن حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، د.صالح العايد (37).

(2) دفاع عن الإسلام (ص: 34- 35)، نقلاً عن المصدر السابق (ص: 37- 38).

(3) حضارة العرب (ص: 128)، نقلاً عن المصدر السابق (ص: 38 - 39).

(4) الدعوة إلى الإسلام (ص: 98- 99).

الخاتم، ورسالته هي الخاتمة مما جعل ويجعل للإسلام رسالة تبدأ من التوحيد، وتنتهي للدعوة إلى الوحدة التي يتعايش داخلها البشر.

يقول أبو الفوارس سعد بن محمد المعروف بحيص بيص:

مَلكْنا فكان العَفْو منَّا سَجيَّةً
فلمَّا ملكْتُمْ سالَ بالدَّمِ أبْطَحُ
وحَلَّلْتُمُ قتلَ الأسارى وطالَما
غَدوْنا عن الأسْرى نَعفُّ ونصفَح
فحسْبُكُمُ هذا التَّفاوتُ بيْنَنا
وكلُّ إناءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ

المبحث الخامس: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب:

إن من أبرز أسباب نجاح الرسول ﷺ في جهاده هو معرفته الدقيقة برجاله وطاقاتهم وإمكانياتهم، ثم توظيف هذه الطاقات فيما تصلح له، كلًّا بحسب تخصصه، وفي المجال الذي يتقنه.

يقول اللواء محمود شيت خطاب: «لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبي ﷺ، ولسير قادته العسكريين بخاصة ولغير العسكريين بعامة، أن من ضمن كفايات النبي ﷺ الفذة مقدرته النادرة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب.

ووجدت أن هذه القابلية التي التزم بها التزامًا حازمًا في حياته هي من أهم الأسباب (الدنيوية) لانتصاره في أيام الحرب، وتميزه بالنجاح في أيام السلام.... لقد كان عليه الصلاة والسلام لا يبقي المزايا في أصحابه طاقات معطلة، بل كان ينتفع بها لمصلحة المجتمع الجديد، وهذا يجعل طاقات أصحابه المتميزة تتضافر لشد أزر الأمة، وتقويتها، ودفعها نحو النصر والبناء.

وكان عليه الصلاة والسلام، يعرف كفايات أصحابه وقابلياتهم حق المعرفة، فلم تغمط كفاية، ولم يُهمل صاحب كفاية، وأُضيفت التجربة العملية على تلك الكفايات فصُقلت ولمعت.

وضع كلّ رجل من ذوي الكفايات المتميزة، في المكان المناسب لكفايته»[1].

وكان ﷺ حريصًا كل الحرص على الاستفادة من الكفاءات العسكرية والقادة العسكريين الذين استجابوا إلى دعوته، وانضموا تحت قيادته، فكان يختارهم لقيادة السرايا والبعوث، وكان يختارهم قادة للفرق في غزواته، فكان يربيهم على عينه، ويدربهم على القيادة والإدارة تحت رعايته، يختار منهم حملة الألوية، وحملة الرايات، ويشكل منهم سرايا الاستطلاع، ويؤمر عليها الأمراء.

وكان لذوي المواهب نصيب من خلقه عليه الصلاة والسلام، يشجعهم ويحضهم ويدعو لهم، كيف لا؟ وهم سهامٌ من سهام الدعوة، أفلح المصطفى ﷺ في الرمي بها، والاستفادة من أصحابها أيًّا كانت مواهبهم، وفي أي مجال كان إسهامهم.

ففي ميدان الكلمة الصادقة المؤثرة كان ﷺ يضع لحسان بن ثابت رضي الله عنه منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح عنه،

(1) ينظر: قادة النبي لمحمود شيت خطاب (ص: 12ـــ13).

ويقول: «إن الله تعالى يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله ﷺ»[1].

لقد كان ﷺ يدرك مدى تأثير شعر حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما في نصرة الإسلام ودحر المشركين، فشجعهم، وحثهم على ذلك، كما أنه عرف أصحاب الطاقات والمواهب الجهادية فاستثمرها وشجعها.

لقد كان يناول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه السهام، وهو يقاتل بين يديه قتال الأبطال، ويقول له: «ارم فداك أبي وأمي»[2].

إن من أكبر مشكلات الأمة الإسلامية الحاضرة إقصاء أصحاب المواهب والطاقات المبدعة وتولي أرباب المصالح الشخصية، الذين يعملون لذاتهم لا لأمتهم، وهنا سؤال يطرح نفسه والأمة الإسلامية بحاجة ماسة أن توجه هذا السؤال إليها وهو: كيف استطاع النبي عليه الصلاة والسلام توحيد هؤلاء العرب الذين عقدوا العزم كما يبدو على ألا يتحدوا؟.

إنه اختار الرجل المناسب للعمل المناسب، فحكم الأمة أفضل أبنائها عقيدة واقتدارًا، فتوحدت بنعمة الله وفضله، وفتحت وسادت بالتوحيد والوحدة.

وأصحاب العقائد الراسخة والكفايات العالية لا يختلفون، لأنهم يبنون ولا يهدمون، ويصلحون ولا يفسدون.

أما الذين لا عقيدة لهم ولا كفاية فيختلفون، فهم يهدمون لأنهم لا يدرون كيف يبنون، ويفسدون لأنهم يجهلون كيف يصلحون.

فهل يكون النبي ﷺ قدوةً حسنة للعرب والمسلمين في اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب؟!.

وهل يكون عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة للعرب والمسلمين في بناء الرجال، وبناء الإنسان العربي المسلم؟!.

إن الله على كل شيء قدير.

نعم لقد طال غياب الرجل المناسب عن العمل المناسب، وطال العمل في تحطيم الرجال بخاصة أصحاب العقيدة الراسخة الذين لا ينافقون، والكفاية العالية الذين لا يستخزون![3]. وهذا من أعظم أسباب تخلف الأمة، فالمناصب ليست لأصحاب الطاقات والكفاءات، إنما هي لأصحاب المصالح والمجاملات!!

المبحث السادس: الشورى:

تعد الشورى من أصول قواعد الحكومة الإسلامية الراشدة، وضرورة من ضروريات قيامها بالعدل، وإيصال الخير للمسلمين، ودفع الضر عنهم، وإذا فقدت منها اختل نظام الحكم فيها، ونزلت المصائب بأهلها، وحلَّت في مجتمعهم الفوضى، وصار كل

(1) أخرجه الترمذي في الشمائل (ص: 133)، وأبو دواد في سننه (94/3) وهو حديث حسن.

(2) أخرجه البخاري (2749)، ومسلم (2411)، وينظر: قضايا ومباحث السيرة النبوية د. سليمان العودة. (ص: 136. 138).

(3) قادة النبي، اللواء محمود شيت خطاب (ص: 44) بتصرف.

شيء في غير مكانه اللائق [1].

قال علي رضي الله عنه: «نعم المؤازرة المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد» [2].

ولقد ترجم الرسول القائد ﷺ من خلال سيرته النبوية العطرة هذا المبدأ القيادي الجليل في إصدار القرارات الخطيرة، فكان كثيرًا ما يشاور أصحابه، يقول أبو هريرة: «ما رأيت أحدًا قط أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ» [3].

إن الشورى مدرسة تربوية للأمة، تظهر من خلالها شخصيتها، وتحقق ذاتها من خلال ممارستها حريتها في إبداء رأيها في أمورها، وتعبر عن إرادتها وقناعتها، ومواقفها في قضاياها المصيرية.

إنها تدرب المستشار على المساهمة في القيادة، وتغنيه بالتجربة، وجودة الرأي والتفكير، وهي خير وسيلة تكشف عن الكفاءات والقدرات، وبها يظهر الأكفاء، وتستفيد الأمم من كفاءاتهم.

إن الشورى توزيعٌ للمسؤولية مهما كانت نتيجة قرار الشورى، سواء كان سلبيًا أو إيجابيًا، فإن كانت النتيجة إيجابية كإحراز نصر ومجد، نسب هذا النصر وهذا المجد إلى الأمة التي أنتجت هذا النصر، ومن ثم هي التي حصلت هذا الشرف، وإن كانت النتيجة سلبية كحدوث فشل أو هزيمة، فإن الأمة التي أسهمت في صنع هذا القرار تتحمل المسؤولية، ومن ثم فلا تلاوم، ولا تشكك، ولا تذمر، ولا فتنة» [4].

وسأكتفي بالإشارة إجمالاً لبعض مواطن استشارته ﷺ في مسائل الحرب:

فقد شاور أصحابه في بدر في ثلاثة مواضع:

أحدها: في الإقدام على الدخول في المعركة [5].

وثانيها: في موضع نزول جيشه [6].

وثالثها: في شأن حكم الأسرى [7].

وشاور أصحابه أيضًا في غزوة أحد في الخروج لملاقاة الأعداء أو المكث في المدينة ومقاتلتهم فيها، كما كان يميل إليه [8].

كما استشارهم يوم الخندق، وأشار عليه سلمان

---

(1) الجهاد في سبيل الله، د. عبد الله قادري (ص: 22)، أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (1196/3).

(2) أدب الدنيا والدين للماوردي (260).

(3) أخرجه الترمذي (1714)، والبيهقي في السنن الكبرى (109/10)، وذكره الحافظ في الفتح (340/13) وقال رجاله ثقات إلا أنه منقطع.

(4) ينظر: المدرسة النبوية العسكرية د. محمد أبو فارس (ص: 128ـ 129).

(5) ينظر ذلك: سيرة ابن هشام (33/3ـ 24)، زاد المعاد (171/3ـــــ 173)، عيون الأثر لابن سيد الناس (247/1ـ 248)، وإمتاع الأسماع (ص: 81ـ 83)، وأصل القصة في الصحيحين.

(6) ينظر: زاد المعاد (175/3)، وإمتاع الأسماع (ص: 84)، مرويات غزوة بدر (ص: 164ـ 165).

(7) أخرجه مسلم (363).

(8) ينظر: تفسير الطبري (372/7)، وسيرة ابن هشام (62/3)، ومرويات غزوة أحد لحسين الباكري (ص: 62).

الفارسي بحفر الخندق[1].

واستشارهم في غزوة الحديبية في أن يغيروا على ديار الذين ناصروا قريشًا، واجتمعوا معها ليدعوا قريشًا، ويعودوا للدفاع عن ديارهم[2].

كما استشار أصحابه حين قدم عليه وفد هوازن وأعلنوا إسلامهم، وطالبوا برد الأموال والسبي إليهم، فخيرهم النبي ﷺ من المال والسبي، فاختاروا السبي، فاستشار الرسول ﷺ أصحابه في الأمر[3].

كما استشار بعض أصحابه في فك حصار الطائف[4].

هذه بعض الإشارات لاستشارات النبي القائد ﷺ، وهي تؤكد أن الشورى منهج نهجه النبي ﷺ في حياته، وأنه طبق هذا المنهج على نحو لم تشهد الشورى في تاريخها تطبيقًا مثله في حياة عظيم، كما طبقها النبي ﷺ، وهو الغني عنها بالوحي، وكمال العقل والفطنة، ولكن كمال أخلاقه وعظمتها، وأمر الله وتوجيهه بلزومها، كل ذلك أبى عليه إلا أن يشاور أصحابه الكرام؛ ليكون أسوة للأمة في الشورى من بعده.

وأنى لهذه الديموقراطيات المعاصرة أن تبلغ شورى الرسول القائد ﷺ، فأين الثرى من الثريا، إنها ديموقراطية تعتمد رأي الأكثرية مهما كان شأنها، حتى وإن كانت أكثرية ظالمة جائرة تتعطش للدماء والحروب، ومعلومٌ من هي الدول التي تدير الحروب في زماننا.

أما شورى الإسلام فتعتمد رأي العلماء الأتقياء المخلصين، من رجال الحل والعقد في هذه الأمة النبوية، الذين يعظمون حرمة الدماء، ويكرهون الحروب، ويبحثون عن السلام.

وهكذا كانت استشاراته ﷺ للحكماء العلماء من أصحابه ﷺ، فيشيرون عليه بالرأي السديد، ويحاورهم في حرية حقيقية، لا كعبودية الديموقراطية![5].

المبحث السابع: إكرام السفراء والعناية بهم:

السفراء: جمع سفير، والسفير: الرسول والمصلح بين قومين، والسفارة هي: النيابة والرسالة، وأصلها في اللغة الإصلاح[6].

وفي الاصطلاح: هي إيفاد شخص معتمد للقيام بمهمة معينة[7].

وتعتبر السفارة من أهم أدوات التعامل الدولي بين

(1) ينظر: فتح الباري (392/7)، ومغازي الواقدي (445/2)، وطبقات ابن سعد (66/2).

(2) أخرجه الحاكم (338/3) وصححه.

(3) ينظر: السيرة النبوية لا بن هشام (185/4).

(4) ينظر: السيرة النبوية لابن كثير (661/3ـــ 662)، وانظر تفاصيل هذه النماذج وغيرها في الشورى في غزوات الرسول، محمد أبو فارس.

(5) في بيان حقيقة الديموقراطية يراجع: حقيقة الديموقراطية، محمد الشريف، والتيارات الإسلامية وقضية الديموقراطية، د. حيدر إبراهيم، والإسلام والديموقراطية، فهمي هويدي، ونقض الجذور الفكرية للديموقراطية الغربية، د. محمد أحمد مفتي.

(6) لسان العرب (35/3)، والمفردات للراغب (ص: 234)، ومختار الصحاح للرازي (ص: 300 ـ 301).

(7) العلاقات الدولية في الإسلام، د. عثمان ضميرية (ص: 104)، ومقومات السلم، د.علي الطيار (223/1).

الأمم والشعوب، سواء في حال السلم، أو الحرب[1].

وقد اعتنى بها الرسول القائد ﷺ لما لها من أثر كبير في تحقيق أهداف الإسلام وإبلاغه للناس كافة، ويدل على مشروعيتها قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾} [سورة التوبة:6] فإذا طلب الحربي الأمان فإنه يجاب إلى ذلك حتى يسمع كلام الله، ويعرف دلائل التوحيد، ومن دخل منهم دار الإسلام رسولًا، فالرسالة تمنحه الأمان.

وقد بين الرسول ﷺ في أحاديث شريفة كثيرة مشروعية السفارة، وبيان ما يتمتع به الرسل من أمان، كحديث أبي رافع قال: بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ، فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقي في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبدًا. فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أَخِيْسُ بالعهد، ولا أَحْبِسُ البُرُدَ، ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع». قال: فذهبت ثم أتيت رسول الله ﷺ فأسلمت[2].

وتظهر مشروعية السفارة في حوادث السيرة النبوية: ذلك أن النبي ﷺ بعث الرسل والسفراء بكتبه إلى ملوك وعظماء العالم يدعوهم إلى الإسلام، وأرسل إلى النجاشي رسولاً ومعه كتابان يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، وفي الكتاب الآخر: أن يزوجه أم حبيبة، وأمره أن يبعث بمن قبله من أصحابه[3].

واستقبل النبي ﷺ رسل الكفار وسفراءهم، فاستقبل رسول مسيلمة الكذاب، واستقبل رسل كفار قريش عام الحديبية، واستقبل وفد نصارى نجران، ورسول هرقل وهو في تبوك. والأمثلة كثيرة في السيرة.

وبهذا يتبين أن النبي ﷺ أول من أوفد السفراء في الإسلام، وأول من استقبلهم، فكان ذلك دليلًا على مشروعية السفارة، وحق الإيفاد الإيجابي والسلبي[4].

ويتجلى إكرام الرسول القائد الكريم ﷺ وعنايته بالسفراء فيما يلي:

1- ما كان يظهره النبي ﷺ للرسول، أو الوافد عليه من احترامٍ في الخطاب، كما في قوله لصفوان بن أمية لما قدم عليه: «انزل أبا وهب...». فخاطبه بكنيته؛ لأنه كان ذا شرف ومكانة.

2- إعطاؤهم الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، فقد كانت الوفود تفد على النبي ﷺ، فيدعوها إلى الإسلام، ولا يمنع أحدًا من أعضائها من ممارسة عبادته، ولا يعنف أحدًا، ولا يلومه إذا لم يؤمن. فقد وفَدَ نصارى نجران على رسول الله ﷺ، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلُّون، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم. فصلَّوا إلى المشرق[5].

(1) العلاقات الدولية في الإسلام، د. عثمان ضميرية (ص103:).

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (23857)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (702).

(3) سيرة ابن هشام (606/2)، زاد المعاد (688/3).

(4) ينظر: العلاقات الدولية في الإسلام، د. عثمان ضميرية (ص: 106).

(5) أخرجه الطبري في التفسير (152/6)، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام (114/3).

3- عدم الاعتداء عليهم، وإن تكلموا بما يوجب السخط، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ‹جاء ابن النواحة وابن أُثال رسولا مسيلمة إلى النبي ﷺ فقال لهما: أتشهدان أني رسول الله؟ قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله ورسوله، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما. قال عبد الله: فمضت السنة أن الرسل لا تقتل›. وفي رواية أبي داود: ‹أما والله لولا أن الرسل لا تقتل، لضربت أعناقكما›[1].

وفي هذا أعظم دليل على منح الحصانة، وحرية إبداء الرأي، وتحريم قتل الرسل الوافدين من الكفار، وإن تكلموا بكلمة الكفر في حضرة الإمام، أو سائر الناس، وفي هذا دليلٌ صريحٌ على أن الإسلام دين عدل ورحمة وسلام[2].

وفي صحيح البخاري: ‹أن عامر بن الطفيل أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر، وألف شقراء›[3].

وفي سيرة ابن هشام: أن عامرًا هذا قد تآمر على قتل الرسول ﷺ هو ورجل من قومه اسمه: أربد ابن قيس بن جزء، وما كان من عامر إلا أن أغلظ القول لرسول الله ﷺ بالإضافة إلى تآمره على قتله ﷺ، ولكن الرسول لم يقابل الإساءة بالإساءة، وإنما كعادته ﷺ قابل الإساءة بالإحسان، وقال ﷺ بعد أن ذهب الرجل: ‹اللهم اكفني عامر بن الطفيل›[4]، وذلك لأن عامرًا كان وافد قومه ورسولهم، له ما للوافد والمبعوث من حماية وعصمة.

4- ضمان الضرر الذي يلحق بالسفير إذا وقع الاعتداء من بعض المسلمين على رسول الأعداء خطأً ويدل على ذلك: أن رجلين من المشركين جاءا إلى رسول الله ﷺ مستأمنين، فأجازهما بحلَّتين، ثم خرجا من عنده، فلقيهما قومٌ من المسلمين فقتلوهما. ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه، فعرفهما وعرف الحلَّتين، فوداهما (دفع ديتهما) بدية حرين مسلمين[5].

وبهذا يتجلى أن الرسول القائد ﷺ قد سبق القانون الدولي، والحضارة الغربية في القيام بحماية السفراء وإكرامهم، ففي القانون الدولي الحديث: لم تفطن الدول الغربية إلى أن الغدر بالرسل كبيرة، إلا أخيرًا في سنة (1907م)، وسنة (1949م) في اتفاقية جنيف الخاصة بأسرى الحرب، وفي اتفاقية فيينا لعام (1961م) الخاصة بالعلاقات والحصانات الدبلوماسية، وقد ظلت القواعد المنظمة للسفراء وللحرب قواعد عرفية بحتة حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث بدأت الدول في

(1) أخرجه أحمد (3761)، وأبو داود (2761)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (1339).

(2) ينظر: نيل الأوطار، الشوكاني (182/8، 183)، ومقومات السلم، د.علي الطيار (241/1).

(3) صحيح البخاري (3864).

(4) السيرة النبوية، لابن هشام (118/4).

(5) ينظر: السير الكبير (485/2).

تدوينها في معاهدات أبرمها لتنظيم الحرب [1].

والتاريخ شاهد على أن الصليبين كانوا يقتلون رسل المسلمين، وكان صلاح الدين لا يعاملهم بالمثل تمسكًا بتعاليم الدين الحنيف، وبقواعد الشرف والفضيلة والمثل العليا، وهذا أصلٌ ثابتٌ في الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان[2].

المبحث الثامن: وفاء النبي ﷺ:

إن من أهم ما ينبغي أن يتحلى به قادة الأمة: الوفاء، فهي صفة محمودة حثت الشريعة عليها كما يقول تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [النحل: 91]

ويتأكد الالتزام بهذا الخلق في الحروب، فإنَّ واحدا من أكبر وأهم أسباب نشوب الحروب أو استمرارها في الوقت الراهن: عدم الوفاء بالعهود والمواثيق الدولية، خاصة مع نشوء النظريات السياسية المعاصرة كنظرية ميكافيليي، والتي تجعل الحكم في الأرض هو حكم الغاب؛ يأكل القوي فيها الضعيف.

لكن الإسلام جاء حاثًّا على هذا الخلق الجميل الذي يحفظ استقرار الناس، وكان عليه الصلاة والسلام على هذا الخلق مع أصحابه وأعدائه، مما ساهم في محبة الناس له، ودخولهم في دين الإسلام من أجله، كما ساهم هذا الخلق عند النبي ﷺ في الحفاظ على دولة الإسلام كما سيأتي بيانه، وسأقتصر هنا على ذكر بعض النماذج من وفائه ﷺ، خاصة فيما يتعلق بموضوع البحث، فمنها:

1- صلح الحديبية؛ إن من أعظم ما يبين وفاء النبي ﷺ مع أعدائه: ما فعله عليه الصلاة والسلام عام الحديبية، فقد صالح كفار قريش على ثلاثة أشياء: "على أن من أتاه من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه، فجاء أبو جندل يحجل في قيوده، فرده إليهم"[3]، فبالرغم من أن أبا جندل جاءه عليه الصلاة والسلام يريده إلا أنه احترم العهد الذي أبرمه مع كفار قريش فرده إليهم، ولم ينقض عهده معهم.

2- وفاؤه مع أعدائه في عدم استغلال بعثاتهم، فقد أرسل الكفار إليه أبا رافع ورده، يقول أبو رافع: بعثتني قريش إلى النبي ﷺ، قال: فلما رأيت النبي ﷺ وقع في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله لا أرجع إليهم، قال: " إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد (1)، ارجع إليهم، فإن كان في قلبك الذي فيه الآن، فارجع"[4].

3- احترم رسول الله ﷺ حتى عهود الآخرين، فأمرهم أن لا ينقضوها، وهذا في أعلى درجات الوفاء خاصة في ساحات الحروب والمعارك، فعن حذيفة بن اليمان، قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت

(1) القانون الدولي العام، أبو هيف (ص: 791).
(2) العلاقات الدولية في الإسلام، الزحيلي (ص: 153).
(3) أخرجه البخاري (2700).
(4) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (23857)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (702).

أنا وأبي حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدا، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم"[1].

4- وصيته ﷺ لأصحابه بأن لا يغدروا، فكان إذا بعث سرية أوصاهم وقال: "ولا تغدروا"[2]، وهذا في تعامله عليه الصلاة والسلام مع أعدائه وفي حروبه مع أعداء يتمنون هلاكه وموته ليل نهار، فما أعظم وأنبل خلقه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر، والفضل، والمنة، والثناء الحسن له وحده أن أعانني ووفقني لإتمام هذا البحث، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك.

وبعد:**فإن أبرز ما تجلى لي من نتائج في هذا البحث هو:**

1- شمول منهج الرسول ﷺ وكماله، وتفرده في العدالة والاعتدال والوسطية، ومعالجته لجميع الأمور في جميع الأحوال، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

2- تحلى رسول الله ﷺ بصفات القائد المثالي الأخلاقي الرباني، والتي لم تجتمع في بشر إلا في هذا الرسول الإنسان ﷺ، فضرب أروع الأمثلة، وأندرها في تاريخ القيادة.

3- تكريم الرسول ﷺ للإنسان، وأن له قيمة إنسانية تفوق غيره من المخلوقات، ولذلك تعامل الرسول مع أعدائه برؤية إنسانية، راقية تنظر إليهم بعين الحزن والرحمة، لانتشالهم مما هم فيه من ضلال.

4- أن رسول الله ﷺ كان النموذج الفريد في العدالة والوسطية والسماحة حتى مع أعدائه، وقد ظهر ذلك جليًا في تعامله مع الناس، وعلاقاته مع غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى، ومع المشركين، وكانت مواقفه نماذج رائعة في تقدير ظروف البشر، وتفهم أحوالهم، والصبر على أذاهم، وجلب مودتهم، وعدم العدوان عليهم، فحقق التعايش السلمي بين المختلفين حتى في الاعتقاد.

5- التوازن في سماحة الرسول ﷺ، فهو يتسامح إلى أبعد مدى، طالما الثوابت والقيم راسخة لا يُعتدى عليها، أما تسامح الذل والهوان، أو الخضوع للظلم، أو التنازل عن الدين فلا مكان له عنده ﷺ.

قائمة المراجع والمصادر:

1. ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، تحقيق ج.أ. بالمي، ألمانيا، 1973م.
2. ابن حبان، السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية، بيروت، 1417هـ.
3. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، 1407هـ.
4. ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1410هـ.
5. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي

(1) أخرجه مسلم (1787).

(2) أخرجه مسلم (1731).

والشـــمائل والســـير، تحقيق محمد الخطراوي ومحيي الدين نتو، دار ابن كثير، بيروت، 1413هـ.

6. ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق: صـبحي الصـالح. الطبعة الثالثة، بيروت، دار العلم للملايين، عام 1983م.

7. ابن قيم الجوزيـة، زاد المعـاد في هـدي خير العبـاد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، وشـــعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، عام 1407هـ.

8. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو مســـلم وآخرون، القاهرة، دار الريان، 1408.

9. ابن كثير، الســـيرة النبويـة، تحقيق: مصـــطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشـــر والتوزيع، بيروت، 1395هـ.

10. ابن منظور، لســـان العرب، دار صـــادر، بيروت، 1956م.

11. ابن هشـــام، الســـيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1411هـ.

12. أبو داوود، ســـنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

13. أبو القاسم السـهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبويـة، تحقيق عبـد الرحمن الوكيـل، بيروت، دار المعرفة، 1978م.

14. أبي نعيم، دلائـل النبوة، تحقيق قلعجي، وعبـد البر عباس، بيروت، دار النفائس، 1406هـ.

15. أحمـد با وزير، مرويات غزوة بـدر، مكتبـة طيبـة، المدينة، ط1، 1400.

16. آرتولد سير توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حســـن وعبـد المجيـد عـابـدين وإسمـاعيـل النجراوي، ط3، مكتبة النهضـــة المصـــرية، القاهرة، 1970م.

17. الألباني، سـلسـلة الأحاديث الصـحيحة وشـيءٌ من فقههـا، مكتبـة المعـارف للنشـــر والتوزيع، الرياض، 1415هـ.

18. الإمام أحمد، المســـند، المكتب الإســـلامي، بيروت، 1398هـ.

19. البيهقي، الســـنن الكبرى، تحقيق محمـد عطـا، دار الكتب ا لعلمية، بيروت.

20. البيهقي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.

21. الترمذي، ســـنن الترمذي، وهو الجامع الصـــحيح، تحقيق أحمد شـــاكر وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

22. تقي الدين المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأبناء والأموال والخدم والمتاع، تحقيق محمد القيسـي، ط1، دار الثقافة العربية، 1401هـ.

23. الحاكم النيســـابوري، المســـتدرك على الصـــحيحين، تحقيق: مصـــطفى عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلمية، بيروت، 1411 هـ.

24. حســـين البـاكري، مرويات غزوة أحـد، الجـامعـة الإسلامية، المدينة المنورة.

25. د. أحمـد عبـد العزيز الحـداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ط1، دار الغرب، بيروت، 1996م.

26. د. صـــالح العايد، حقوق غير المســـلمين في بلاد الإسلام، كنوز إشبيليا، الرياض، ط4، 1424.

27. د. عبد الله قادري، الجهـاد في ســـبيل الله، حقيقته وغايته، دار المنار، جدة، 1413هـ.

28.د. علي أبو العينين، الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام، ضمن موسوعة نضرة النعيم.

29.د. علي الطيار، مقومات السلم وقضايا العصر، الرياض، 1419هـ.

30.د. محمد أبو فارس، السيرة النبوية، دراسة تحليلية، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1418.

31.د.محمد فتح الله كولن، النور الخالد محمد فخر الإنسانية.

32.د. وهبة الزحيلي، العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401 هـ.

33.د.وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط3، 1983.

34.الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 1412هـ.

35.الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، 1414هـ.

36.الشوكاني، نيل الأوطار، دار الجيل، بيروت.

37.عبد الله الرشيد، القيادة العسكرية في عهد الرسول، ط1، دار اعلم، بيروت، 1410هـ.

38.الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت.

39.القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق علي البجاوي، دار الكتاب العربي، بيروت.

40.القرطبي، تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت.

41.اللواء محمد جمال الدين محفوظ، بحث المدخل إلى العقيدة الاستراتيجية، دار النصر، مصر.

42.اللواء محمد جمال الدين محفوظ، الجانب العسكري من حياة الرسول ﷺ، بحث منشور ضمن كتاب اقتباس النظام العسكري في عهد النبي ﷺ.

43.اللواء محمود شيت خطاب، العسكرية الإسلامية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1403هـ.

44.الماوردي، أدب الدنيا والدين للماوردي، تحقيق مصطفى السقاء، بيروت، 1978م.

45.محمد أبو فارس، المدرسة النبوية العسكرية دار الفرقان، الأردن، ط1، 1413.

46.محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، إخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان. بيروت، مكتبة لبنان، 1992م.

47.محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1407هـ.

48.محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، 1409هـ.

49.محمد بن الحسن الشيباني، السير الكبير، تحقيق مجيد خدوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت.

50.محمد شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، دمشق، ط1، 1411.

51.محمد الصادق عرجون، الموسوعة في سماحة الإسلام، ط2، الدار السعودية، جدة، 1404هـ.

52.محمد الغزالي، فقه السيرة، دار القلم، دمشق، 1414هـ.

53.محمد فتح الله كولن، النظام العسكري في عهد الرسول التنظير والتطبيق،.

54.محمد فرج، المدرسة العسكرية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979م.

55.محمود شيت خطاب، الرسول القائد، بيروت، دار الفكر، ط5، 1971م.

56.مسلم بن الحاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

57.المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الأمواج، بيروت، 1410هـ.

58.الموسوعة الفلسفية العربية.

59.نادية مصطفى وآخرون، العلاقات الدولية في الإسلام وقت الحرب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417.

60.الواقدي، المغازي، عالم الكتب، تحقيق مارسون جونسن، بيروت، 1404هـ.

61.وزارة الأوقاف المغربية، مفهوم التسامح في البناء الحضاري الإنساني، الدر البيضاء، 1415هـ.